تناسب آيات العرش في القرآن الكريم

المدرس الدكتور
خولة صالح صيهود
جامعة القادسية – كلية التربية الرياضية

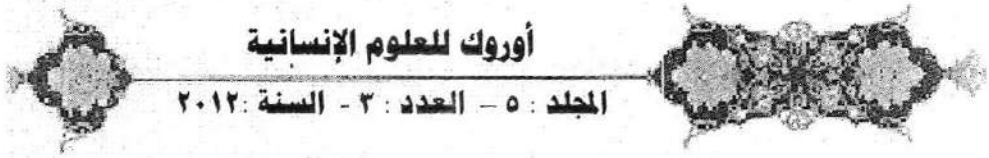

أوروك للعلوم الإنسانية
المجلد : ٥ – العدد : ٣ - السنة :٢٠١٢

تناسب آيات العرش في القرآن الكريم

المدرس الدكتور

خولة صالح صيهود

جامعة القادسية – كلية التربية الرياضية

الخلاصة:

يهدف البحث إلى تلمس وجوه التناسب في الآيات التي جاء فيها ذكر العرش في القرآن الكريم وبعض الخصائص البيانية من منطلق ان القرآن الكريم كله كلام الله سبحانه وتعالى الذي جاء متناسباً متآلفاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد حاول البحث إستقراء أنواع التناسب في الآية الواحدة كونها اللبنة الأساسية في الإعجاز والبلاغة القرآنية وجزءا من القرآن الكريم ، جاءت في بناء محكم ومتناسب في المعاني والمباني وغيرها، ويقف على الأبعاد الفنية والجمالية من ملاحظة وجوه الارتباط بين أنواعها المختلفة ومن الدراسة والتحليل والاطلاع على التفاسير ومصادر ومراجع الإعجاز والبلاغة التي تناولت التناسب في القرآن الكريم.

فكان البحث على تمهيد اشتمل على التعريف بالتناسب لغةً واصطلاحاً وبيان بعض أراء العلماء الذين قالوا بالمناسبة ، ومبحث عرض لدراسة وجوه الترابط ومناسبتها في آيات العرش ومن ثم الخاتمة التي خلص إليها البحث.

مقدمة:

للقرآن الكريم منهج يختلف عن غيره في الأسلوب الذي صيغت عليه آياته وفي عرضه للأحكام والتشريعات والأوامر والنواهي وغيرها، ففي الآية الواحدة في

جزئياتها وفي حروفها وفي كلماتها نجد أتساق في العبارات وتلاؤم في الألفاظ يبينان مقاصد القرآن الكريم ويحققان بناءه المتفرد .

ويأتي هذا التفرد من أمور عديدة منها التوافق والإنسجام بين الألفاظ بوضع الكلمة والجملة إلى ما يناسبها. ومعرفة وجوه المناسبة بين الآيات يساعد على أدراك المعنى والتفسير الدقيق للآيات الكريمة ،وله جانب كبير في روعة القرآن وتفرده وأكبر الأثر في توضيح العقائد والأحكام والتشريعات وغيرها من المقاصد الكثيرة في القرآن الكريم.

فالمعنى هنا هو ما يطلب من التناسب في القرآن الكريم ولا يطلب لذاته ولأنواعه التعبيرية أهمية كبيرة في إيصال المعاني المطلوبة،وهذا جانب من الجوانب التي تفرد بها القرآن الكريم .

تمهيد في التناسب لغة واصطلاحا:

وردت مادة نسب "النون،والسين ،والباء ... إتصال شيء بشيء"[١] في رباط وثيق و"تقول ليس بينهما مناسبة اي مشاكلة"[٢] والتناسب يعني "المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص ،عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهني[٣] ، وردت مفردة التناسب في القرآن الكريم في صيغ متعددة [٤] . التي تشير إلى الترابط والتعلق والإنسجام.

وفي الاصطلاح : بيان وجه الارتباط في الآية الكريمة اللفظي والمعنوي ، و بين كل آية بما قبلها وما بعدها ، أو بين السورة والسورة وبما قبلها وما بعدها . وبهذا يتوافق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي للمناسبة .

والتناسب هو التوافق والانسجام بين مجموعة من الألفاظ إذ يكون كل لفظ موافقا لغيره من غير تنافر ولا اختلاف في ترابط لفظي ومعنوي وعلاقة وثيقة بينهما له قيمة معنوية وجمالية بوضع الكلمة أو الجملة مع ما يناسبها.

وهذا المعنى أكد عليه كثير من العلماء الذين تطرقوا إلى معنى التناسب واصنافه وانواعه وأثره في السور والآيات القرآنية من خلال التوقف على أنواع الربط بين أجزاء السور من حروف العطف وغيرها، وقد سبقهم إلى ذلك أبو بكر النيسابوري ٣٢٤هـ تابعه بعد ذلك الرازي ٦٠٤هـ وابن ابي الأصبع المصري ٦٥٤هـ وابن الزبير الأندلسي ٧٠٨هـ والبقاعي٨٨٥هـ والسيوطي ٩١١هـ وغيرهم. وعدوه علما من علوم الإعجاز القرآني على الرغم من إختلافهم في مناهجه وموضوعاته لكنهم اتفقوا على أن التناسب مسألة جوهرية في الإنسجام والملائمة.

ويعد التناسب في البيان القرآني موضوعاً دقيقاً لأنه يبحث وجهاً من وجوه بلاغة القرآن الكريم وله أهمية كبيرة في فهم الإعجاز القرآني .أرجع بعضهم سبب الإعجاز والتناسب والتناسق إلى اللفظ، والأسلوب ، والصياغة، والتناسب الصوتي ، وأرجعها بعض آخرإلى النظم والتراكيب ،وأرجعها آخرون إلى جوانب أخرى فضلا عن هذين الجانبين. فأبرزوا تلك الخصائص الجمالية التي تضمنها القرآن ،سواء أكان في اللفظ والعبارة أم في النظم والتراكيب، والحقيقة أن إعجاز القرآن وتفرده يأتيان من تلك الأمور مجتمعة . فقد تنزلت آياته متفرقة بحسب الحاجة، وكأنها لا تؤلف وحدة موضوعية . وهذه إحدى معجزات القرآن الكريم.

المبحث الأول:

للتناسب في آيات العرش وجوه متعددة في إتمام المعنى بما يناسبه ويكون ذلك في الجمع بين المعاني التي يوافق بعضها بعضاً، وإلحاق الشيء بنظيره لهدف محدد تشترك المعاني والألفاظ في تكوينه.

فمن وجوه التناسب في آيات العرش قوله تعالى:(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) (٥) ،لقد فصّل سبحانه وتعالى

في ذكر دلائل قدرته التي تنوعت لتكون أكثر تأثيرا في الإعتبار، فقد أوجد السماوات بلا عماد ولا رابط ،والشمس والقمر بحيز معين ونظم ثابتة ، وليس هناك دليل أوضح منه، وناسب التفصيل في دلائل قدرته ذكر استوائه على العرش[٦].

أكد في نفي العماد والدعائم بذكر كلمة (ترونها) إستئنافا□ واستشهادا□ برؤيتهم ،ومناسبة هذا الإستئناف هو كفرهم واستكبارهم وإعراضهم عن دعوة الحق[٧].أما الصيغ فقد جاءت مناسبة فـ(يدبر)،(يفصل) جاءت متجددة لكل زمان ناسبت معناها، وتم رفع السماوات وتسخير الشمس والقمر بالزمن الماضي ، وأنه سبحانه لما ذكر السماوات ناسبها بذكر التدبير والتفصيل ليبين اقتداره على تصريفه وتقليبه الأمور وتفصيل الآيات يوجب النظر والتفكر.

فقد اشتركت المعاني والألفاظ في تكوين الرابط ونقله وتأثيره وبيان ما بينهما، وإن تفصيل الآيات والفاصلة يتناسبان مع ما سبق تقريره على وجوب النظر المؤدي إلى معرفة الخالق سبحانه وتعالى.

ومن وجوه التناسب المعنوي أن تكون هناك وحدة بين أجزاء الصورة البيانية ، فلا تتنافر بل تتآلف وتتناسب ، كقوله تعالى : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)[٨]. لقد عالجت الآية قضية مؤثرة وهي تصور(الذين يحملون العرش) وهم يستغفرون لمن في الأرض ، وأخبر سبحانه عن الذين يحملون العرش عبادة لله تعالى وامتثالاً لأمره ينزهون ربهم عما يصفه به المجادلون ويصدقون به ويسألونه المغفرة للذين آمنوا من أهل الأرض وصدقوا بوحدانيته[٩]، فنجد أن التناسب قد روعي في الآية الكريمة، على الرغم من تفاوت الأجناس وتباعد الأمكنة إلا إنه لما جاء ذكر الإيمان جاء معه التجانس الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض[١٠].

وكذلك من التناسب في السورة نفسها قوله تعالى:(رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ)[١١] فقد ناسب قوله تعالى (رفيع الدرجات) في اتصاله بما قبله (هو الذي يريكم آياته) لما ذكر حال الفريقين ذكر الدرجات وذكر تعالى ثلاث صفات من صفات الجلالة وقد ناسب ذلك الفاصلة ، لينذر اليوم الذي يحكم بينهم أو أن يلتقي المرء وعمله[١٢].

ومن التناسب في آيات العرش قوله تعالى: (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)[١٣] فالمشهد الذي ابتدعه واستأثر به وحده بعلمه سبحانه وتعالى فالملائكة في هذا اليوم على جنبات السماء في أحوال شتى ،أما الذين يحملون العرش فوق الخلائق يوم القيامة ، قيل ثمانية صفوف لا يعلمهم إلا الله[١٤] وهو تمثيل لكمال الله وعزته وانفراده بالملك .وقد يكون الغرض من ذكر انشقاق السماء وكون الملائكة على أرجائها وكون حملة العرش يومئذ ثمانية بيان ظهور الملائكة والسماء والعرش للإنسان يومئذ[١٥].

ومن التناسب المعنوي في آيات العرش قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)[١٦]، وهي أول سورة ذكر الله تعالى فيها صفته في الاستواء على العرش، جاءت معاني الآية الكريمة متناسبة في الخطاب الموجه للمشركين ، فقد كان للتأكيد أثره في رد أفكار المشركين وزيادة بصيرة المؤمنين وتذكيرا بدلائل قدرته[١٧]. فقد فصل بين الخلق والأمر؛ لأن فائدتهما مختلفة ،يريد بالخلق التكوين من العدم،وبالأمر يفعل ما يشاء،(تبارك الله) أي تعالى بالوحدانية والثبات[١٨].

ومن التناسب التفنن في الكلام ونقله من اسلوب إلى آخر مثال ذلك قوله تعالى : (قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً)[١٩] أعرض

عن مخاطبتهم فصرف الخطاب إلى النبي بأمره أن يكلمهم في أمر التوحيد ونفي الشريك[٢٠] تنوع الأسلوب يؤدي إلى تقرير الحجة لتكون أظهر وأبين. وتعالج هذه الآية الكريمة قضية انقياد السماوات السبع والأرضيين بسلطان الله تعالى فهن يسبحن بحمده تبارك وتعالى ، ففي الفرض الذي ذكره سبحانه في كون أن هناك آلهة مع الله سبحانه كما يزعم الكفار لسعوا إلى مغالبته وإزالة ملكه لأنهم شركاء متساوون في صفات الذات،وفي هذا إشارة إلى دليل التمانع ، ثم نزه نفسه سبحانه أن يكون له شريك في الآلهية[٢١]، فجاء مناسبا ودليلا قاطعا على وحدانيته.

ويختلف معنى الحجة في هذه الآية عن قوله في سورة الأنبياء: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)[٢٢]، وذلك إن الحجتين مختلفتان في مقدماتهما لأن التي في سورة الإسراء تدعو إلى نفي الشريك من جهة ابتغاء الآلهة السبيل إلى ذي العرش وطلبهم الغلبة عليه ،أما في الأنبياء فتوضح بالحجة القاطعة إن اختلاف الآلهة في ذواتهم يؤدي إلى اختلافهم في التدبير وذلك يؤدي إلى فساد النظام واختلال الكون[٢٣]. ففي إلحاق النتائج بالمقدمات التي عالجت هذه القضية دعوة للإدراك والملاحظة ،فالتناسق الكوني في كل ذلك هو المقصود بالملاحظة ،لأدراك وحدة القانون الذي يضبط حركة هذه المخلوقات جميعها في تناسق وتناسب من غير خلل ،مما يدل على وحدة الخالق سبحانه وتعالى،و لما أقام الدلائل القاطعة على التوحيد نبه على ضرورة الاشتغال بالتسبيح[٢٤].

لقد صور التعبير البياني حقائق متناسبة مع المعنى قوله تعالى: (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[٢٥]عبر عن الحقائق بالتصوير يتناسب مع المعاني التي تعرض مشهدا□

من مشاهد القيامة ويصور الملائكة وهم يسبحون بحمد ربهم ،أما الفاصلة فهي كلمة الفصل المناسبة لما سبق من التصوير البياني .

أما قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)[٢٦] الآية دليل على تفنيد عجبهم من وحي القرآن، فالخطاب للخلق جميعا احتج به على عباده بما بين من بدائع صنعه في السماوات والأرض وفي أنفسهم وبيان للتوحيد وبطلان الشرك، (إن ربكم) كلام مستأنف سيق لإظهار بطلان تعجبهم وما بنوا عليه من الباطل تمت الإشارة إليه بالإنكار والتعجب [٢٧]، (يدبر الأمر) استئناف لبيان حكمة استوائه وتقرير عظمته دل قبلها على عظمة شأنه واتبعها هذه لزيادة الدلالة على العظمة وان الخلق رهن قدرته وتدبيره.

(ما من شفيع إلا من بعد إذنه) نفي الشفاعة عن غيره وتقرير للعظمة .(ذلكم الله ربكم) لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير والتفكر إن الله لا إله غيره ،(فاعبدوه) أمر بالعبادة من غير إشراك ،(أفلا تذكرون) الاستفهام إنكار لانتفاء تذكر إذا أشركوا معه غيره ولم يتأملوا في معنى الإلوهية ويتفكروا في إنه المتفرد بخلق الكون وتدبير أحواله[٢٨]، وجاء مناسباً لما قبله من الموعظة لينبه على التفكر في قدرته على الخلق وتدبير مصالحه .

ومن وجوه التناسب في آيات العرش التفصيل بعد الإجمال ، فلها القدرة على التقرير ففي قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[٢٩] لقد عقب تعالى الاستواء الذي هو كناية عن الأخذ بزمام الأمور وتدبير الملك بالعلم بالجزئيات الذي هو من لوازم التدبير،(أينما كنتم) مجاز مرسل دلالة على الإحاطة وجاءت الفاصلة نتيجة لما

قبلها من علمه بظاهر الأمور وباطنها [٣٠] . بعد أن ختمت السورة قبلها بالتنزيه ،فهي كالتعليل إذعانا وإقراراً بالدليل والبرهان وهذا من التناسب والانسجام في المعنى .

يعد الاستطراد في القرائن المعنوية من أوجه التناسب ومن ذلك قوله تعالى:(ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ)[٣١] استطراد وتكملة بتعقيب صفاته تعالى الذاتية ، تنبيه واتقاء لعقابه ورجاء ثوابه. وناسب ذلك قوله تعالى:(فعال لما يريد)[٣٢] صفة جامعة لعظمته الذاتية وعظمة نعمته بصيغة المبالغة للدلالة على القدرة ، لما ذكر الله تعالى من صفاته ما تعلُقه بمخلوقاته بحسب ما يستحقونه من جزاء أعقب ذلك بصفاته الذاتية تنبيها للعباد إلى وجوب عبادته لاستحقاقه العبادة لجلاله كما يعبدونه لطلب ثوابه ولاتقاء عقابه.

ومن التناسب المعنوي في آيات العرش المقابلة أو التقابل وهو من أوجه التناسب في قوله تعالى:(فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) [٣٣] أي ذهبوا عن الحق واتباع الرسول وما يأمرهم به وأعرضوا عن قوله ونقيض التولي عنه أو الإعراض التوجه إليه ، فقل كفاني الله أي المتولي للقيام بمصالح عباده ،فإن آمنوا فذاك وإن لم يؤمنوا فإن الله حسيبه وكافيه وقد دل الشرط على مقابلة ،وفيها التفات وتلوين وإيجاز وإيماء في الخطاب ، فبعد أن أعرضوا عن الإيمان بالنبي وناصبوه أمره الله تعالى بالتوكل عليه جل وعلا فهو كافيه وناصره .أي عند إعراض الكفار وعدم تصديقهم لا يحزن ولا يأسف لعدم إيمانهم لأن الله تعالى هو أرسله فلا بد ان يكفيه وينصره[٣٤].وجاءت الفاصلة موافقه ومناسبه لما سبق.

وفي قوله تعالى: (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا

يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[٣٥] ففيه من التناسب واختيار الألفاظ والتراكيب التي تحمل معاني مناسبة للسياق الذي وقعت فيه. فالتوافق المعنوي هو عنصر من عناصر الوحدة في آيات العرش ،ففي اختيار معانيها ما يوافق موضوعها وهدفها واقتران القضية بأدلتها والفاصلة التي تختم بها .يوضح لنا المناسبة المعنوية في هذه الآيات.

وفي قوله تعالى: (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)[٣٦] ، وهي استئناف تقريري فبعد أن ذكرهم بالسماوات والأرض ،تلاه بالعلوي لأنه أعظم ،فقال من خالق السماوات والأرض كما تشاهدون من حركاتها وسير نجومها ورب العرش العظيم الذي أنتم به معترفون، و في تكرار كلمة رب تناسب الإشارة إلى أهمية أمره ورفعة محله[٣٧].

وكذلك قوله تعالى: (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)[٣٨] ففي قوله تعالى توافق وانسجام في الإشارة إلى الأوصاف التي وصف نفسه تعالى بها وهي أربعة،تعد دليلا على التوحيد ينفي غيره.

و قوله تعالى : (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)[٣٩] تنزيه لا يخلو من إشارة إلى حجة على الوحدانية ، عما ينسبون إليه [٤٠] من نسبة الولد جاء مناسبا لإظهار فساد منطقهم في الذي يدّعونه، وهذا الأسلوب في إثبات الحجة عليهم من أبلغ الأساليب.

وأيضا قوله تعالى: (ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ)[٤١] أقسم الله عز وجل على إن هذا القرآن قول الرسول الملكي جبرائيل (عليه السلام) ،وقد ناسب ذلك وصفه بالقوة والمكانة الرفيعة عند الله تعالى.

ومن التناسب في آيات العرش قوله تعالى:(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ

لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[٤٢] فأنه سبحانه لَمّا فتح واو العطف وادخل عليها ألف الإستفهام الذي معناه التقرير[٤٣]، لم يقل ذلك إنكاراً ولا تعجباً ولا ارتياباً ولكنه أراد ان يريه الله إحياؤها مشاهدة[٤٤]، وهناك من يرى ان ذكر(ولنجعلك آية للناس) ولم يذكر أمورا أخرى لكي لا يتم التحديد في المعنى. ان الفاظ هذه الآية الكريمة جاءت مؤدية لمعناها والتي تدل على عدم تقيد قدرة الله سبحانه وتعالى بقوانين ثابته .

وكذلك قوله تعالى:(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ)[٤٥]. ففيه تقرير للتوحيد ،لأن من شمل علمه وقدرته هو الذي يكون إلها [٤٦]،ودليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السماوات والأرض[٤٧].(يبلوكم أيكم أحسن عملاً) أي يختبركم وهو تصريح إن الخلق لحكمة الابتلاء ولم يخلقهما عبثا ،أي خلقهما لحكمة بالغة ،ليجعلها مساكن لعباده،وينعم عليهم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي[٤٨] ولم يقل أكثر لأن العمل لا يكون حسنا حتى يكون خالصا.التناسب في تخصيصهم بالذكر وترك غيرهم تشريفا وتنبيها وترغيبا لهم[٤٩].

ومن التناسب اللفظي المشاكلة كقوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)[٥٠] " في ذكر الاستواء على العرش بعد ذكر السماوات والأرض أن الكلام في اختصاص الربوبية بالله وحده ،ففي إسناد الخلقة إليه لا ينفع في إبطال ما يقول به الوثنية،فإنهم لا ينكرون إسناد الخلق إليه إنما يقولون بإسناد التدبير إلى آلهتهم ولله تعالى من الشأن إنه رب الأرباب وآله الآلهه"[٥١]، أما التعبير

بالشفيع هنا من قبيل المشاكلة التقريرية لما ان المشركين المنذرين كثيرا ما كانوا يقولون في آلهتهم (هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا)[٥٢] فالشفيع هو الناصر على سبيل المجاز والمعنى فإن جاوزتم رضاه لم تجدوا لكم ناصرا غيره[٥٣].

ومن التناسب المجاورة والإتباع،قد وردت في آيات العرش فواصل متماثلة ومتقاربه كقوله تعالى: (طه ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)[٥٤]. لقد جاءت هذه الفواصل متقاربة في الحروف ومتماثلة في المقاطع تابعة للمعاني .

لقد تضمنت الآية الكريمة(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)[٥٥] أدلة متنوعة على كمال قدرة الله عز وجل وبديع صنعه .إلقاء المعنى بنحو خفي في فهم الحيوان عن طريق الغريزة في أمر النحل لما ذكر من أمرها من دقة الفهم في نظام دقيق لا يقبل الخطأ وما يخرج منها من شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس.

كذلك تضمنت آيات العرش في سورة النمل [٥٦] أدلة متنوعة على كمال قدرة الله تعالى وبديع صنعه ،فقد تناسب اللفظ والمعنى والسياق لتأدية القصة بأسلوب دقيق المعنى في الصورة البيانية التي صورها لنا المعنى كأننا نراه بين قول الذي عنده علم من الكتاب وتكفله بأن يأتي بعرشها قبل أن يرتد طرف سليمان (عليه السلام) إليه وبين إحضار العرش.

إن المتأمل في آيات العرش يجد إن لكل آية خصوصية تختلف عن غيرها ،من خلال ترابط أجزاء الآية الواحدة في موضوعها وتناسب الفاظها ،وقد لا يظهر وجه الترابط جليا وإنما يحتاج إلى فهم الآية وتدبرها.

الخاتمـــة:

١-التناسب نوع من أنواع الإعجاز في القرآن الكريم .

٢- أغلب آيات العرش تقريرية جاءت لتأكيد فكرة أو لتثبيت العقيدة والأحكام .

٣- التناسب في آيات العرش يبين اتساق وملائمة الفاظه لمعانيه ويحقق الغرض من المعنى لما يقتضيه الحال .

٤-لأنواع التناسب التعبيرية أهمية كبيرة في إيصال المعنى الذي يطلب من التناسب ولا يطلب لذاته.

٥- من التناسب في آيات العرش وحدتها الموضوعية من خلال ترابط المعاني وتناسبها في الآية الواحدة ،ففي تأمل آيات العرش نجد إن لكل آية خصوصية تختلف عن غيرها في ترابط أجزاء الآية الواحدة في موضوعها وتناسب الفاظها ،وقد لا يظهر ذلك بصورة مباشرة وإنما يحتاج إلى نظر وتأمل وتدبر في الآية الكريمة.

٦-الترابط والتناسب بين الآيات يؤدي إلى معرفة المعنى أو الترجيح بين الآراء أو استجلاء الحكم من السياق العام للآيات .

٧- اشتركت آيات العرش التي جاءت بصور بلاغية مختلفة بالدعوة للتأمل والتفكر في معنى الخلق وتدبيره.

Abstract

Essentially, this paper aims at searching phases of proportion and some of the rhetorical characteristics in the Koran verses which refer to God's Throne. This is in accordance with the fact that the Holy Koran is God's word which comes harmoniously to which falsehood knows no way.

Types of proportion in a single verse are also induced as the corner-stone in the arch of the wondrous nature of the Koran and its eloquence, showing their technical and aesthetic dimensions through perceiving ways of association among these types, studying, analyzing

and examining the interpretations and references of rhetoric that deal with the idea of proportion in the Holy Koran.

This study falls into two parts and a conclusion. The first part is an introduction of "proportion" from a linguistic point of view and as a technical term, with an explanation of the views that are related to it (proportion). The second part presents a study of the phases of association and occasion in the verses of the Throne. The conclusion sums up the findings of the study

هوامش البحث

1 معجم مقاييس اللغة: مجلد:٥،مادة نسب:٤٢٣

2 لسان العرب:ج١٤، مادة نسب :١١٨-١١٩.

3 الإتقان في علوم القرآن:٢١٢.

4 ينظر:المؤمنون:١٠١، الفرقان:٥٤، الصافات:١٥٨.

5 الرعد:٢.

6 ينظر:مجمع البيان:٤/٦.

7 ينظر:الكشاف:ج٢/٤٩٢-٤٩٣.

8 غافر:٧.

9 ينظر مجمع البيان:٤٢٧/٨.

10 ينظر:الكشاف:١٤٨/٤.

11 غافر:١٥.

12 ينظر:مجمع البيان:٤٣١/٨.

13 الحاقة:١٧.

14 ينظر:مجمع البيان:مج١٠/ج٢٩: ١٠٨.

15 ينظر:الميزان: ٣٥٠/١٩ .

16 الأعراف:٥٤.

17 ينظر:روح المعاني:ج١٣٤/٨-١٣٥.

18 ينظر:مجمع البيان:٢٦٩/٤-٢٧٠.

19 الإسراء:٤٢.
20 ينظر:الميزان ج١٣/٨٦.
21 ينظر:مجمع البيان:ج١٥،مجلد٦/٢٥٤.
22 الأنبياء:٢٢.
23 ينظر الميزان:ج١٣/ ٨٦-٨٧.
24 ينظر:تفسير الرازي :مج:١١:ج٢١-٢٢/١٣٣.
25 الزمر :٧٥.
26 يونس:٣.
27 ينظر:مجمع البيان : مج٥،ج١١، ١٥٥.
28 ينظر:الميزان:ج١٠/٨.
29 الحديد:٤.
30 ينظر:تفسير الميزان:ج ١٩ /١٢٨-١٢٩.
31 البروج :١٥.
32 البروج: ١٦.
33 التوبة :١٢٩.
34 ينظر:تفسير الكبير:مج١١،ج٢١-٢٢، ١٨٨ .
35 يوسف:١٠٠.
36 المؤمنون:٨٦.
37 ينظر: الميزان:ج ١٥/٤٧.
38 المؤمنون:١١٦.
39 الزخرف:٨٢.
40 ينظر:الميزان:١٨/١٠٣.
41 التكوير:٢٦.
42 البقرة:٢٥٩.
43 ينظر:تفسير القرطبي:١٨٧.
44 ينظر:مجمع البيان:٢/١٥٤

45 هود:٧.
46 ينظر:تفسير الآلوسي:٨/١٥٩.
47 ينظر:الكشاف:٣/٦٨.
48 ينظر:المصدرنفسه.
49 ينظر:المصدرنفسه.
50 السجدة :٤.
51 الميزان:ج١٦/١٩٧.
52 ينظر:تفسير روح المعاني:١٥/٤٨٨وفيها سورة يونس:١٨.
53 ينظر:الكشاف:٣/٤٩٢.
54 طه:١-٥.
55 النحل:٦٨.
56 النمل:٢٣ ،٢٦، ٤٢.

قائمة المصادر و المراجع

١-القرآن الكريم.
٢-الإتقان في علوم القرآن:جلال الدين السيوطي(٩١١هـ)،ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم ،ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م.
٣-تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،تحقيق:سالم مصطفى البدري ، ط١،دار الكتب العلمية ، بيروت/لبنان،١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٤-التفسير الكبير(مفاتح الغيب):فخر الدين الرازي(٥٤٤ هـ-٦٠٤ه)، ط١،دار الكتب العلمية بيروت/لبنان،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :شهاب الدين الآلوسي(١٢٧٠ هـ) ،دار إحياء التراث العربي،بيروت/لبنان.

٦-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :لأبي القاسم جار الله الزمخشري (٤٦٧هـ-٥٣٨هـ)،رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين،ط١،منشورات دار الكتب العلمية/لبنان ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٧-مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري ،تحقيق لجنة من العلماء،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت/لبنان.

٨- معجم لسان العرب لابن منظور(٦٣٠هـ-٧١١هـ)،تصحيح امين محمد عبد الوهاب و محمد صادق العبيدي ،ط٣،دار إحياء التراث العربي،بيروت/ لبنان.

٩- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين بن فارس،ت٣٩٥هـ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل.

١٠- الميزان في تفسير القرآن:تأليف السيد محمد حسين الطباطبائي، تحقيق:أياد باقر سلمان،ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان ، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م.